عمر طويل . وشباب دائم

الشباب حلم المسنين

ألا ليت الشباب يعود يوما .....!؟.

موضوع قديم سقيم عقيم متجدد !..

أن يعيش المرء مائة ، مائتين ، ثلاثمائة عام ..، لا يضعف ولا يهرم ولا يشيخ، بل يظل فى قوة الشباب ، وعزم الفتوة ، وتدفق الفحولة ، وإنجاب الصبايا، ونضارة العذارى، وصمود الجزر (الإبل) .

حلم عند البعض قديم ، أو قل : وهْم يروّج له ماكر لئيم ، لأن الإنسان العاقل المدرك الرشيد ، يرى الكون والمخلوقات من حوله تمضى على نهج واضح صارم مكرور : ميلاد بضَعف ، ثم نماء بلطف ، فاكتمال مع شدة ، وصلابة فى قوة ، ثم انحدار عن الذروة إلى الغثاثة والهشاشة والوهن .. فالموت ..

وحتى فى الظواهر الطبيعية : الشمس مثلا ، نراها كل يوم تشرق غيرها فى الضحى ، غيرها عند الظهيرة ، غيرها مع العصر ، غيرها حين تغرب وهى هى الشمس ، فى ذاتها لم تتغير ولم تتحور ، لكنها تذكرنا على الدوام بأن البداية ضَعف، يُفضى إلى قَصْف (شدة) ، يؤول إلى حذْف . سُنة الله فى الخلق ، ولن تجد لسنته تبديلاً .

فى ديسمبر ١٩٩٦ ، نشرت مجلة «تايم Time» الأمريكية العالمية موضوعا رئيسياً فى عدة صفحات ، تحت عنوان كبير ، خصصت له صورة الغلاف : «هل باستطاعتنا أن نطيل شبابنا ؟!. وتحت هذا العنوان الكبير تفسير يمهد لعرض الموضوع يقول : بدأ العلماء بالفعل فى كشف منغلق أسرار الشيخوخة ، وفضلا عن ذلك .. اكتشاف كيفية مدى احتمال قدرتنا على تجنبها» . وخلاصة التحقيق الصحفى ، أن العلماء البيولوجيين وهم يبحثون فى مجاهيل الجينات بجامعات ومختبرات الشمال الأمريكى ، قدروا أن الإنسان يمكن أن يمتد به العمر ويعيش إلى ٤٥٠ سنة !، وأن معدلات طول العمر تمضى متصاعدة منذ بداية القرن العشرين حتى آخره ، بالنسبة للمواطن الأمريكى ، باستثناء فترة بسيطة بين عامى ١٩١٨ و ١٩١٩ حين انتشر مرض الإنفلونزا عالميا ، وأهلك فى الولايات المتحدة الأمريكية وحدها نحو نصف مليون مواطن . ففى ١٩٠٠ كان الطفل الأمريكى يُتوقع له أن يعيش إلى سن السابعة والأربعين . فى سنة ١٩٠٦ بدأ انتشار تطبيق نظرية استخدام الفيتامينات ؛ وزاد متوسط العمر ، وفى عام ١٩٢٨ اكتشف (ألكسندر فلمنج) البنيسيلين أول مضاد حيوى ، فارتفعت كثيراً معدلات السن ، وفى عام ١٩٥٥ بدأ فى أمريكا تطعيم الأطفال بمصل ضد شلل الأطفال الذى ابتكره د. سولك . وفى عام ١٩٦٤ بدأت الحملات الإعلامية المكثفة للتعريف بمضار التدخين .

ونصل فى النهاية إلى أن الطفل الأمريكى المولود فى العقد الأخير من القرن العشرين يتوقع له أن يعيش إلى سن السادسة والسبعين ، وأن البحث المعلمى فى فك ألغاز الجينات والكروموسومات والخلايا وما تحوى من مادة الـ د. ن. أ (DNA) خاصة بعد فك شفرة الخريطة الجينية (الجينوم) سيؤدى إلى اكتشاف وسائل (وقائية ودوائية) تجعل من الميسور أن يمتد عمر المرء إلى مائة وخمسين سنة .. على الأقل !، وأيضاً: فى الولايات المتحدة – ولابد أن يكون فيها ، لا فى غيرها ! – يوجد الآن بالفعل ستون جثة ، اختار أصحابها أن تحفظ كل منها فى خزان معبأ بالنتروجين المبرد إلى درجة ٢٧٠ تحت الصفر ، حتى إذا تقدم البحث العلمى وتوصل العلماء إلى وسيلة «لبعث الحياة» فى الخلية الميتة ، قاموا هم من خزاناتهم الباردة وعادوا إلى ممارسة الحياة ! وهذا «التخزين البارد» يتكلف نحو نصف مليون دولار!. ونسى هؤلاء الأموات أن يسألوا قبل تخزينهم : وإلى متى سيعيشون بعد عودتهم إلى الحياة إن قُدّر لهم وعادوا !. وهل ستستمر عملية «التخزين الباردة» هذه إلى ما لا نهاية ؟؟!.

وتخرج من الموضوع ، كما دخلْت ، باقتناعك – إن تدبرت وفطنت – بأن الشطط أحياناً ينزلق إلى المخاتلة (الخداع) والزيف ، ويا حسرة على العباد الذين يضيعون الجهود والأموال فيما يبدو ضرره أكثر من نفعه على الإطلاق ، فى وقت يئن فيه العالم كله من المظالم والآلام والضغوط والمجاعات والحروب ...

آراء القرآء فى إطالة الشباب

الطريف والحصيف معا ، أنه بعد أسبوعين من بسط هذا الموضوع ، نشرت المجلة نخبة من رسائل القراء – كعادتها – تعليقاً على ما جاء فيه . وهذا هو المهم ، أو الأهم : فالمعروف أن رسائل القراء إلى الصحف تتنوع بين مؤيد ومعارض ، بين محبِّذ أو رافض ، ويشكر لهذه المجلة أنها غالباً ما تنشر لهؤلاء وهؤلاء ، إلا أنه فى هذا الموضوع بالذات ، نلاحظ أن ما نشر للقراء جميعا يكاد يتفق فى الرأى أو وجهة النظر، وهم من بلاد شتى وقارات متباعدة . والغالب أن المجلة لم يصلها ما يناقض رأى هؤلاء . ومن بينهم شاب حرص أن يذكر مع اسمه أنه فى سن الثامنة عشرة ، فجاء بتعليق موجز طريف حصيف . وهذه نماذج من تعلقاتهم .

- أى إنسان سليم العقل يتمنى أن تتضاعف فترة امتداد عمره إلى مائة وخمسين سنة ؟. لماذا نضاعف وجود الناس فى فترة زمنية بينما الأرض تئن بشدة من مضاعفة أعداد المتعطلين ، والفقراء والحروب ؟ لا ! شكراً !. دعونا نعمل على تحسين الحياة ، فذلك أفضل من الاستغراق فى البحث عن مقدار الحياة المستقبلية . إننى واحدة من أولئك الذين ينظرون إلى حياة أخرى بعد هذه ، والتى من المؤكد أنها أفضل .

جلندا فلوويك – ألمانيا ...

- أنا أحب العلماء . إنهم حقا بعض النجوم الزاهرة . وبدونهم قد تصبح الحياة أقرب إلى الجحيم ... لقد أفزعنى أن أرى العلماء سلكوا طريقاً آخر يتيح للمتخم بالثراء أن يرث ما تبقى من الأرض .. لذا .. أقول للأغنياء والمشاهير .. حظ سعيد !. استمتعوا بحياة شابة طويلة وبما يمكن أن تشتريه أموالكم . واجتهدوا أن تصيروا مثل أثاثكم ومفروشاتكم وتحفكم العتيقة ، وغيروا من أعضاء أجسامكم التالفة مثلما تغيرون سياراتكم الفارهة . اجمعوا ما تركه غيركم من ثروات الأرض ، حتى ولو كانت الأبقار المريضة بالجنون أو إفرازات مختبرات البحث العلمى فى الجينات ، وما أنتجته من ضفادع ذات ثلاثة عيون وتسعة أرجل ، وأشجار بلا أوراق !..

كورا ديكسون – مدينة نيويورك

- إن مقالكم غير مجْد . فكل إنسان منا سيظل عرضة لموت محتوم فى يوم ما . إننا فى أمريكا تحيطنا تشويهات الموت . نحن بحاجة إلى النضال المثمر فى مواجهة تلك الحقيقة ... يمكننا أن نعيش ونموت معبّرين عن أفضل صفاتنا الإنسانية . أما البحث عن الشباب الدائم ، فإنه لا يثمر تلك النتيجة .

كين ميس – مدير نظام سابق
سان جوزيف الصحى – كاليفورنيا

- علم الرغم من أن فترة العمر الإنسانية امتطّت مأساويا خلال القرن الماضى ، إلا أن الذى لم يتحقق بالنسبة لمعظم الناس هو تحسين نوعية الحياة . وبالرغم من أن ملايين البشر استغاثت من النتائج الطبية (وغيرها) التكنولوجية ، فإن الاهتمام الأكبر تركز على التطبيقات العلمية والعملية أكثر من العناية بالقيم الأخلاقية وأبعادها مع الاستخدام التكنولوجى . لقد حاول الإنسان بطريقة أو أخرى المراوغة والخداع مع الموت .

إن البحث عن نبع الشباب باستخدام شد الوجه ، ومساحيق التجميل ، ومص الدهون، ووجبات التخسيس ، كلها تشترك فى الهدف وهو تجنب الشيخوخة ، وبالنهاية: الموت. وبدلا من تعلم كيفية إثراء الحياة فى اتجاه ذى معنى ، نُصر على إطالتها كما هى ، وهذا يؤدى إلى النرجسية . لعل من الأفضل أن نجد وقتا لقراءة قصة أوسكار وايلد «دوريان جراى» .

ستفن واتكنز – الفلبين ..

- «شباب إلى الأبد» ؟ لابد أنكم تريدون إغاظتنا .. إنه عنوان جيد يجذب الأنظار ، إلا أن الحقيقة هى : بعد إثارة المشاعر والخيال فإن المصير المحتوم واقع لا محالة . من فضلكم فكروا فى ملايين شخصيات قصة «دوريان جراى» الذين يسيرون فى الأرض على حافة الموت بحثا عن خبرات أو مهارات جديدة .

فكروا فى خلود شباب كلينتون (الرئيس الأمريكى السابق) ، وخلود شباب كاسترو (الرئيس الكوبى الاشتراكى) ! ومع ذلك فلابد لى أن أسلّم بأن خلود شباب كلوديا شيفر (من أشهر عارضات الأزياء) أكثر بهجة وإثارة !. إن هذا عبث وهراء. دعونا نمضى قدما لكى نجعل المسنين أفضل وأبهج ، وأن نترك مكانا كافيا للقادمين بعدنا . إن «سلسلة الحياة» لا يجب أن تتلاحم ، وإنما : عِشْ ودع غيرك يموت !، أو مُت ودع غيرك يعيش !.

وليام بولن – سنتياجو (شيلى)

- إن مشكلة العالم الكبرى هى عدم تسامح المرء إزاء الآخر . عندما هزمنا الوضع الاجتماعى ، استطعنا أن نبرر أخلاقيا ترف العبث بطبيعة الموت ، وهو عملية طبيعية تماماً مثل الميلاد .. إننا على وشك انفجار سكانى . انظروا حولكم .

س. هاميلتون – كندا ..

- إن الشيخوخة يستحيل تجنبها . لا يوجد نبع دائم للشباب . فلْندع ما يكون لما هو كائن . لست أريد لأبنائى أن يعيشوا لمائة وعشرين سنة أو أكثر ، فحينئذ سوف يعانون ثلاثة أو أربعة أضعاف الآلام . لماذا يبحث العلم عن وسائل تجعلنا فى شباب دائم ؟.

جون بيتون – كندا

- إن أكبر السلبيات وضوحا ، المترتبة على مأساة إطالة فترة الحياة هى زيادة مشكلة التضخم السكانى سوءا . وماذا عن الصراعات بين الشباب والمسنين حين يرغب الشباب فى الحصول على أعمال ؟... وبما أن محاولات التغلب على الشيخوخة هى فى معظمها باهظة التكاليف ، إذن فالفجوة سوف تتسع أكثر بين الأثرياء القادرين طويلى العمر ، وبين الفقراء الهالكين .

وأخيراً .. فإن الذى سيعيش إلى سن المائة والعشرين ، سيجد لزاما عليه أن

يكد ويعمل معظم هذه السنين ، لكى يحافظ على حياته .. فهل تريد حقا أن تجد عملا يرحب بك وأنت فى سن المائة وخمس عشرة سنة ؟.

بوب شامبرز – سان ديجيو (الولايات المتحدة)

- بدلا من إنفاق الوقت ، والجهد ، وصرة من الأموال فى اللعب – بالمختبرات – مع الحشرات والفئران ، بحثا عن نبع فياض لا ينضب من الشباب والفتوة ، لماذا لا يكون التفكير فى استئصال ما بالعالم من مرض ومجاعة ، تلك التى تقصر لأعمال الملايين من البشر ؟. يا هؤلاء ! دعونا نمضى إلى ما هو أبعد من ذلك .. لماذا لا نوجه من جديد كل هذه الجهود العلمية نحو إطالة حياة كوكبنا (الأرضى) ؟، وبغير ذلك لا يأمل فى البقاء على قيد الحياة – على المدى البعيد – لا المواليد الجدد ، ولا أى إنسان آخر . إن الموت ليس مأساة ، لأنه جزء من الحياة ، ومحاولة منعه ، هى مقاومة (عابثة) للقوى الطبيعية التى لا تقهر .

زوى فون نوستيتز – تات . السن ١٨ سنة
ليمو – فرنسا

- هذه بعض من آراء القراء نحو إطالة فترة الشباب وتأخر الشيخوخة ... والواضح أن الجميع تقريباً رافضاً لما هو ضد ناموس الحياة ونظام الكون والطبيعة البشرية .

أ. د. سميره سالم